المقال الافتتاحي

إشكاليات البحث العلمي الإعلامي في عصر الذكاء الاصطناعي

أ.د. سحر خليفة سالم

أستاذ الإعلام بالجامعة العراقية
بغداد – العراق

شكلت تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي إحدى أهم التطورات التي تم توظيفها في صناعة الإعلام، فدخلت هذه التكنولوجيا الذكية في العمل الصحفي بكل مجالاته، وباتت واقعًا لا يمكن تجاهله في المجال الإعلامي؛ إذ سيطرت على السواد الأعظم من مفاصله ووجدت المؤسسات الإعلامية أنها أمام منافسة، التسابق فيها محموم في استخدام هذه التقنية في مجالي الإعلام المحايد أو المضلل.

تطرح هذه التقنية الذكية إشكاليات عديدة في مدى ملاءمة المناهج والأدوات البحثية التقليدية في دراسة المضمون الرقمي الجديد، فالدراسات العديدة أثبتت فاعلية هذه المناهج في دراسة المضمون الرقمي قبل ظهور التقنيات الجديدة في الذكاء الاصطناعي، بل ساعدت هذه التقنية هذه المناهج في التحليل والتنظيم، فيمكن للذكاء الاصطناعي حاليًا أن يساعد في استخراج وتحليل البيانات من مصادر مختلفة بنحو دقيق بالاعتماد على خوارزميات متطورة للغاية، ما يساعد الباحثين في جمع المادة العلمية وتنظيمها وإدارتها، ويوفر قاعدة بيانات للكثير من المراجع والأبحاث العلمية.

ففي تحليل البيانات، يمكن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحليل أعداد ضخمة جدًا من الأبحاث العلمية السابقة، ويمكن لنماذج التعلم العميق (DEEP LEARNING) وتقنيات التعلم الآلي الأخرى استخراج المعلومات المخفية في البيانات، مما يساعد الباحثين على اكتشاف العلاقات وإعداد التقارير، فضلاً عن مساهمة الذكاء الاصطناعي في توليد المحتوى الأكاديمي مثل المقالات العلمية أو الأوراق البحثية، وتمكن نماذج التعلم الآلي من تحليل المصادر المعرفية المتعددة، وإنتاج محتوى مؤلف ذا جودة عالية، وتستنبط منها الكثير من المعطيات الإحصائية التي من شأنها تسهيل مهمات الباحث في الوصول إلى نتائج علمية دقيقة قابلة للتعميم.

كما يساعد الذكاء الاصطناعي أيضًا في الكتابة الذكية، فهو يحتوي أدوات تستخدم تقنيات ذكية لمساعدة الكتاب والباحثين في مجال توفير توجيهات حول الهيكل والتنظيم العام للنص، وتقترح كلمات وعبارات ملائمة وتساعد في تحرير وتنسيق النص.

كما يمكن الاعتماد على تطبيقات الذكاء الاصطناعي لإجراء البحوث، بل هناك تطبيقات تساعد في

اختيار موضوع البحث والمشكلة البحثية لبحوثهم العلمية، وهذا ما يؤكد أن تقنيات الذكاء الاصطناعي وفرت وباختصار الكثير من الأدوات الخاصة بالبحث العلمي، لا سيما في تطوير النماذج التنبؤية، وكذا الأمر بالنسبة لاستطلاعات الرأي التي عززت عملها تقنيات الذكاء الاصطناعي.

وأمام كل هذا التطور اللافت للنظر في المجالات كافة التي دخل فيها الذكاء الاصطناعي، ما يهمنا هو المجال الذي يختص بأداء مهام فكرية كان يقوم بها الإنسان بنفسه كتقنيات إنتاج مواد صحفية من أخبار وتحليلات وقصص إخبارية بواسطة الذكاء الاصطناعي، فقد قدمت تطبيقات الذكاء الاصطناعي تطورًا مذهلاً في مجالي الاتصال الرقمي والإعلام عبر دمج البيانات والخوارزميات، وتحويلها إلى قصص إخبارية، وإعداد وكتابة التحليلات الصحفية، فكثير من المؤسسات الإعلامية، ولا سيما وكالات الأنباء، اعتمدت توليد الأخبار التلقائية من دون تدخل المحررين أو الصحفيين.

وبدأ استخدام الخوارزميات يزداد في إنتاج الأخبار، حيث أدخلت عدد من المؤسسات الصحفية الغربية مثل وكالة (BLOOMBERG) ووكالة (REUTERS) ما يطلق عليه الروبوت الصحفي أو الآلي الذي يتوقع أن يكون بديلاً في المستقبل للصحفي العادي، لاسيما في مجال الأخبار. كما طورت صحف مثل (WASHINGTON POST) و(DAILY MIRROR) خوارزميات الكتابة الصحفية الآلية فنشرت مقالات بمساعدة الذكاء الاصطناعي عبر منصاتها الإلكترونية.

يمكن أيضًا لهذه التقنيات إنتاج كم هائل من القصص الإخبارية، مقارنة بما تنتجه وكالات الأنباء اليوم، عن طريق تحويل البيانات والأرقام إلى نصوص، وكذلك تحويل النصوص إلى فيديوهات تلخص الحدث، وعمل قوالب متعددة تعالج الخبر نفسه بجوانب متعددة، كعمل تغريدات، وعناوين، وتلخيص مختصر للقصة الخبرية، وكتابة نبذة عن أبطال الحدث.

ووفقًا لما تقدم، فإن التطورات الهائلة تقابلها إشكاليات بحثية، فطرحت هذه التقنية أمام الباحثين تحدي جديد، فكيف يمكن لمضامين أنتجت من قبل تقنيات الذكاء الاصطناعي إخضاعها للدراسة والتحليل، فإذا أصبح المحتوى يتم عن طريق الآلات وخوارزميات البرامج القادرة على تقليد الإدراك البشري، هل سيكون محتوى الإعلام قابلاً للقياس بشكل واضح؟

كيف للباحثين دراسة المضامين التي أنتجتها الآلات والتعرف على مكامنها ومعانيها وأساليبها سواء كانت هذه المضامين إعلامية أو مضامين دعائية أو إعلانية؟، وكذلك ما الأدوات البحثية الملائمة لهذا النوع من المضامين هل نكتفي بتحليل المحتوى أو الاستبيان وبقية الأدوات البحثية التقليدية أم يتوجب أمام هذا التطور البحث عن أدوات بحثية جديدة تتلاءم مع التطورات المذهلة في إنتاج المضامين بالذكاء الاصطناعي؟

وهل تخضع المضامين للتحليل السيمولوجي الذي يركز على الرسالة الاتصالية والإعلامية من حيث بنيتها والعلاقات الدلالية الترابطية الكامنة داخلها؟ وهل نكتفي بدراسة الرسالة ولا ندرس الفاعلين كون الفاعل هنا تقنية وليس بشر؟

كيف سيتم دراسة على سبيل المثال أشكال تقديم النشرات الإخبارية أو البرامج بأنواعها إذا كان من

سيقدمها مذيع أو مقدم افتراضي؟ لاسيما أن أداء المقدم له التأثير في متابعة الجمهور، كالحركات، ولغة الجسد، والكاريزما، وغيرها.

فنلاحظ أن البحث العلمي يتقدم بسرعة فائقة فيما يتعلق بالجوانب التقنية للذكاء الاصطناعي، لكن نجده متعثرًا عندما يتعلق بجوانب تحليل المضامين المنتجة من خلاله (أي الذكاء الاصطناعي)، فالباحثين في هذا المجال يجب أن يمتازوا بمهارات معينة كي يستطيعوا قياس واختبار المضمون المنتج بالذكاء الاصطناعي.

وإزاء كل ما تقدم، وأمام التقدم الهائل الذي يشهده الذكاء الاصطناعي، وتنامي التحذيرات من الخطر الذي يشكله على البشرية، يجد المختصون بالبحث العلمي الإعلامي أنفسهم أمام تحديات صعبة ومعقدة في ابتكار أساليب جديدة تكفل على أقل تقدير إيجاد ما يمكن إيجاده من قدرات بحثية ذاتية تستنبط وتستشرف ما يمكن أن يصل إليه الذكاء الاصطناعي في مجال إنتاج المحتوى وتوقع أو تخمين ما سيتركه من أثر على المجتمعات، لاسيما وأنه حتى الآن لا يبدو واضحًا مدى قدرة أنظمة الذكاء الاصطناعي على تحقيق وتعزيز الصالح العام بعد ظهور أكثر من مؤشر على عدم توافق البيانات المستخدمة في هذه الأنظمة مع الواقع.

إذ نحتاج إلى إجراء بحوث لتقييم المحتوى الإعلامي المنتج عبر هذه التقنيات، بهدف تقييمه ونقده ومقارنته بالمحتوى المنتج من قبل البشر. وفي جانب آخر نحتاج إلى إجراء بحوث لمعرفة مدى تأثر المتلقي وادراكه للهدف المرجو من الرسالة التي تم إنتاجها بواسطة الذكاء الاصطناعي.

وربما نحتاج هنا إلى التركيز على الأدوات البحثية الكيفية كتحليل المضمون الكيفي، والمقابلات المعمقة، وتحليل الوثائق والأدلة، ومجموعات النقاش المركزة، أو قد نحتاج إلى الجمع بين الأدوات الكمية والكيفية، وكذا الأمر فيما يخص المناهج العلمية، فنحتاج إلى رصد وتحليل الاتجاهات الحديثة في مجال بحوث تأثير الذكاء الاصطناعي، كما نحتاج إلى مداخل جديدة على المستويين التحليلي والتفسيري.

ونتطلع أخيرًا إلى نظرة مستقبلية لتطوير الاتجاهات البحثية في هذا المجال، وما نسعى إليه ليس بالمستحيل، فممكن للعلوم الانسانية والاجتماعية أن تبحث عن صيغ منهجية جديدة لدراسة المحتوى المنتج بواسطة الذكاء الاصطناعي، كما نحتاج إلى تطويع أساليب البحث بحيث تتكيف مع خصائص التقنية الجديدة، وآليات واستخدامات جديدة.

وبين خضم كل هذه التحديات تقول كل التجارب الإنسانية أنه ما من ابتكار أنتجه العقل البشري على مر العصور، إلا ووجد من يتصدى له وينبري في قياس آثاره وتقصي كل السبل الممكنة لفهم كيفية التعامل معه واحتوائه، وستثبت الأيام القادمة لنا إن كان تحدي الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون كسابقاته من الابتكارات التي غيرت وجه البشرية أم أننا امام صفحة جديدة تختلف تمامًا عن سابقاتها.